1089

صاحب الجلالة يفتتح أشغال أيام الاقلاع الاقتصادي والتنمية الاجتماعية

الدار البيضاء — ترأس صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بقصر ولاية الدار البيضاء الكبرى افتتاح أشغال المناظرة الوطنية حول التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي أطلق عليها جلالته اسم « أيام الاقلاع الاقتصادي والتنمية الاجتماعية ».

وفيما يلي نص الخطاب الذي ارتجله جلالته :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

حضرات السادة

لست في حاجة الى أن أبين لكم ما هي الدواعي والدوافع التي جعلتنا نجتمع اليوم في هذه القاعة لنتدارس أثناء أسابيع وشهور — أقول أسابيع وشهور — المشاكل التي نحن بصددها، وقد قررنا أن نطلق على تجمعنا هذا « أيام الاقلاع الاقتصادي والتنمية الاجتماعية »، أقول الاقلاع الاقتصادي، لأن محركات الطائرة جاهزة، الطائرة المغربية موجودة — ولله الحمد — العضلات الاقتصادية المغربية قوية وصحيحة، وهذا لا يمكن لأحد أن يجادل فيه، ما هو عجزنا؟ وما هو نقصنا؟ العجز والنقص هو الناحية المالية والنقدية، فلو لم تكن الأحداث العالمية الأخيرة، ولو لم يكن تدهور السوق العالمية، ولو لم يكن ارتفاع أثمان الطاقة بالخصوص، ولو لم تكن كثرة الاستهلاك في المواد التي هي ضرورية وحيوية، تلك التي لا نريد أن نمد اليد إليها والتي تثقل كاهل صندوق الموازنة، لو لم تكن هذه العوامل النقدية لكان في الامكان أن يقول المغربي ودارس ملفات المغرب الاقتصادية والسياحية والصناعية والفلاحية — لكان في إمكان كل هؤلاء الناس أن يقولوا — المغرب بخير اقتصاديا وماليا.

طيب، هل معنى هذا أننا سنبقى مكتوفي الأيدي أمام هذه الحالة التي إن لم نضع لها حدا يمكن أن تضعنا في دوامة لا يمكننا أن نخرج منها في المستقبل، أو حتى إذا خرجنا لا نخرج إلا ضعفاء غير قادرين على مسايرة الركب في القرن العشرين.

أعتقد شخصيا أن موارد الثروة المغربية كثيرة ومتعددة ومتنوعة، وأول مواردها هو قبل كل شيء إرادة المغاربة كلهم أن يوجدوا أسباب الثروة ويجدوا حتى يزيدوا في ثروتهم.

المغربي — ولله الحمد — له أولا الطاقة الأولى والرقم واحد، وهي الطاقة البشرية، ونحن في تخطيطاتنا وسياستنا سنركز على هذه النقطة، لأن الطاقة البشرية هي أساس لكل دولة أرادت أن لا تكون في المؤخرة حينما يصل الركب العالمي في نهاية القرن.

ولكن هناك ثروات أخرى حبا الله سبحانه وتعالى بلدنا بها، منها ما فوق الأرض ومنها ما تحت الأرض وما هو في البحار، نعم علينا أن ننظر الى ثرواتنا كخيول الرهان، تلك الثروات حينما تستثمر أحسن استثمار ستصل بنا الى قصب السبق، ولكن من سيصل قبل الآخرين في هذه الامكانيات؟ ما هو الميدان الذي له حظوظ أكثر من غيره أن يغطي في ظرف سنة أو سنتين أو ثلاث سنوات، هذه الحاجيات وهذا العجز النقدي وبالأخص في العملة الصعبة؟

هذه من جملة الموضوعات التي عليكم أن تتدارسوها، فهي كخيول متنوعة كلها كفيلة بأن تصل هي الأولى حينما تدخل في ميدان السباق.

ولكن ما هما الفرسان اللذان سينطلقان ويجب أن ينطلقا في الحين، لأنهما سيسدان حاجياتنا ريثما تجري الخيول الأخرى وتربح الرهان.

هذه اختيارات مطروحة على تحليلاتكم ومطروحة على الآراء التي ستدلون بها.

لي اليقين أنكم أول ما ستلمسون، ستلمسون المتناقضات التي تعيش فيها كل دولة في هذا القرن، وكل دولة أرادت أن تعيش في إطار الحريات وتعدد الأحزاب وتعدد النقابات، فما هي هذه التناقضات؟ هي أنها تريد التجنيد للعزائم وللسواعد، ومن جهة أخرى تترك ذلك لوطنية كل واحد، ووطنية كل هيأة أو حركة.

حينما نتكلم مع أرباب رؤوس الأموال والشغالين لا نلمس فيهم دائما الاقدام اللازم والثقة الكافية في الادارة.

وحينما نخاطب الطبقة العاملة لا نرى فيها دائما الحليف للمعامل والمصانع، بل نلمس أحيانا فيها الخصم الطبيعي أو الذي يعتقد أنه يجب أن يكون طبيعيا لأرباب المعامل أو للادارة، وحينما نرى الادارة نراها تريد أن تعمل كل شيء وهي غير قادرة على أن تعمل كل شيء.

هل يا ترى هذه المتناقضات أو التناقضات، هي تناقضات قاتلة؟ لا، أبدا. هي تناقضات كل بلد حي يريد أن يعيش في إطار الحرية، ولكن هل معنى هذا أننا سنرعى هذه التناقضات وننميها؟ لا. علينا أن نسعى لأن تتضاءل شيئا فشيئا، وأن تتعايش لأنها هي بمثابة ما هو خليط للنظام الدستوري الحر الذي اختاره المغرب لمستقبله وحاضره.

لا يمكن أن ننظر الى التنمية الاقتصادية أو للاقلاع الاقتصادي دون أن ننظر الى الناحية البشرية، ولا يمكن أن نكون طموحين في تشييد المصانع والسدود، وفي النهوض بفلاحتنا، وفي تطوير شبكة مواصلاتنا وفي تجهيز بلدنا، دون أن ننظر بعين مهمة جدا وساهرة الى المشكل البشري فيما يخص الفوارق الطبقية وفيما يخص التشغيل.

فهل إذن هناك إمكانات للتنسيق والتوفيق بين التشغيل الأكثر، بين القضاء على الفوارق الطبقية وبين الهجوم على خط واحد في جميع الميادين التي يقتضيها الاقلاع الاقتصادي والتنمية الاجتماعية.

هذه من جملة الأفكار التي أردت أن تكون نصب أعينكم حينما ستنكبون على دراسة هذه المسائل، عليكم أن تفكروا قبل كل شيء سياسيا، وعليكم قبل كل شيء أن تنظروا الى الهدف الذي تريدون أن تصلوا إليه، فإذا تصورتم الهدف وأصبح الهدف واضحا في ذهنكم، إذ ذاك سيسهل عليكم التوفيق بين ما يظهر كمتناقض والحالة أنه متكامل.

لا خير في مغرب لا حرية فيه في المستقبل، حرية الكلام والتجمع، والهيئات السياسية والنقابية.

لا خير للمغرب في مستقبل تكون طبقته العاملة في الحضيض الأسفل، وبعض الطبقة المشغلة وذات رؤوس الأموال في عنان السماء.



لا خير للمغرب أن يكبر وينمو، والثلثان أو ثلاثة أرباع أطفاله وأبنائه ــ رجال المستقبل ــ ينظرون الى جارهم بعين الحسد لا بعين الغبطة.

كل هذا يجب أن يكون الاطار الأخلاقي، إطار الفضيلة الذي يجب أن يحفزكم الى البحث عن الخير والبحث عن الغنى.

حينما يقول النبي صلى الله عليه وسلم « المومن القوي، أحب الى الله من المومن الضعيف »، يمكنه أن يقول : المؤمن الغني، أحب الى الله من المؤمن الفقير. ولكن هل الفقير يجب أن يبقى دائما فقيرا في نفسية الاسلام؟ هل الغني يجب أن يكون غنيا ومثريا على حساب جماعة أو طبقة كلها؟ لا، المؤمن الغني القانع أحب الى الله من المؤمن الفقير، ريثما يصبح ذلك الفقير غنيا.

كان من المقرر أن تجتمعوا حضرات السادة مدة أربعة أيام، وأعتقد شخصيا أنها طريقة غير مجدية. لماذا؟ لأنني أظن أنكم ستكونون أربع لجان ستنظر في قانون الاستثمارات وفي الجبايات، وستنظر في الفلاحة وفي الصناعة وفي وسائل النقل والموانىء، وستنظر في عدد من التشريعات، وفي نظري أن أربعة أيام لا تكفي، ولا يعقل أن يكون في بالنا سنأتي ونرى وندرس كما قال سيزار هو وحده الذي قال : « جئت ورأيت ودرست ».

ولا أظن أن هذه الطريقة يمكن أن تؤدي بكم الى نتائج طيبة، ولكن اذا أعطيتم لأنفسكم شهرين أو ثلاثة أشهر التي تفصلنا عن الدخول البرلماني في أكتوبر، وإذا بقيت اللجان مكونة مكاتبها، فمن خلال المراسلات والاتصالات مع جميع الوزراء الذين يعنيهم الأمر ستتمكن إن شاء الله في أواخر شهر سبتمبر أن نجمع نفس هذا المجلس وأن نستمع الى التقارير أو القرارات العامة والمفصلة لكل إطار، ولكن يجب أن تكون تقارير وتوصيات هادفة لأنكم إذا توصلتم الى النتيجة التي نريدها فستعرض تلك التوصيات بعد خمسة عشر يوما على ملف الدرس بالبرلمان، ويمكن في آن واحد مع القانون المالي لسنة 1983 أن يدخل المغرب بميزانية جديدة وفلسفة جديدة وكذلك تشريعات وتقريرات وقوانين جديدة، ومما سيسهل الأمر على البرلمان أن من ضمنكم برلمانيين ومن ضمنكم أناسا ينتمون لعدة قطاعات، فيكم كذلك الهيئات السياسية كلها والهيئات النقابية كلها، وفيكم كذلك الغرف التجارية والصناعية، وهذه الهيئات كلها هي المكونة للبرلمان.

فإذن زيادة على البرلمانيين الموجودين هنا، هناك طاقات وأفكار من القطاع الخاص والادارة جاءت حقيقة لتشتغل معكم على أساس أننا كلنا في مركبة واحدة، لي اليقين أن الشهرين أو الثلاثة أشهر من التدارس الجدي وتبادل الرسائل وتبادل النظريات ستنشىء ــ إن شاء الله ــ جوا من الحوار وسينتج عنها ملف ضخم، ولكن ليس فقط ملف من الورق، مفعم بالحركة والنشاط الذي سيعرض على أنظار البرلمان في دورة أكتوبر المقبلة.

وبهذا نكون قد نظرنا في سياستنا الاقتصادية وفي سياستنا الطاقية، ونظرنا بالأخص في قانون الاستثمارات بالنسبة للمستثمر الأجنبي، فمن اللازم أن نعرف أمرا مهما جدا، وهو أن الثروة المغربية هي في المغرب والذي يبني معملا ولو كان أجنبيا فهو لن يأخذه معه وكذلك الشأن بالنسبة للذي ساعدنا على التنقيب وإخراج النفط، لأنه من الغلط والحمق والحلم أن يعتبر الانسان أن وزارة أو مكتبا من المكاتب تابعا للوزارة هي التي يمكن أن تنقب وأن تؤدي ما بين مليارين وأربعة ملايير لكل حفرة ويمكن لها أن تنقب وتجد وتعد وتلقى وتسوق وتبيع، أظن أن هذا من قبيل الحلم الذي لابد لنا أن نفيق منه.

علينا أن نقول ان ثروات المغرب في المرحلة الأولى يجب أن نستثمرها في الحين كي نبقى أقوياء اقتصاديا

ونقديا، ولكننا لا نملك الوسائل وحدنا للقيام بالتنقيب والبناء، وما نقوله عن النفط نقوله عن صيد السمك وعن الصناعة الثقيلة والمتوسطة ولا نقوله عن الصناعة الخفيفة.

فإذن لابد من أن نكون متفتحين فيما يخص قانون الاستثمارات، فمن شيد مشروعا في المغرب سيتركه في المغرب، فهذه المعامل لا يأخذها أرباب الأموال ورؤوس الأموال الأجانب في حقائبهم لما يغادرون، لابد لنا أن نعاملهم معاملة مستقيمة تجعلهم يربحون أموالهم من الحلال بكيفية قانونية، ولكن حتى يخلق المغرب جوا من الثقة من جهة ويجلب عطف الآخرين من جهة أخرى ويعمل أيضا على تدارك الوقت الذي فاته ويحاول أن يجلب أكبر قدر ممكن من العملة الصعبة لأنني لا أظن أن الحالة التجارية في المستقبل سوف تخرج من حالة التدهور التي تعيشها الآن، أظن أن الأمور التجارية والمعاملة التجارية الدولية تزداد صعوبة.

فلهذا علينا أن نكون أكفاء لمواجهة المستقبل، ولا أريد أن تفهموا من كلامي الواقعية المتشائمة، لا. أنا واقعي ولكنني متفائل، متفائل لأن لدينا الطاقة، والطاقة النووية من الفوسفاط، ولدينا الطاقة النفطية، والطاقة المائية، وما علينا إلا أن نشيد لها السدود، سدود توليد الكهرباء وليس سدود الري، عندنا — ولله الحمد — بواكير مهمة جدا من النفط من ناحية الطاقة، وفي ظرف 15 سنة ستكون الطاقة الشمسية لها أهمية في المستقبل في العالم.

إذن جميع المكونات « رأس المال » متوفرة لدينا، لذا فإننا ننظر الى المستقبل بتفاؤل وواقعية على أساس أن ننطلق من شيء، ليس في إمكاننا ولا من حقنا أن نضيع ولو دقيقة واحدة لاستثمار ما حبانا الله به من طاقات وإمكانيات، لننظر الى اليمين والى الشمال ولنحمد الله على الطاقة الكبرى الدائمة التي حبا بها المغرب ألا وهي الفلاحة.

لقد طلبنا الله سبحانه وتعالى ورجوناه ودعوناه فما خيب أملنا ولا خيب دعاءنا.

لقد أعطانا مطره وماءه ورحمته، وما زال المطر سينزل إن شاء الله في الأيام القليلة المقبلة.

وهذه الطاقة الحقيقية التي حبانا بها الله هي الفلاحة المغربية، هذه الفلاحة هل يمكن أن تبقى دائما رهينة الطقس، يجب أن لا تبقى دائما رهينته، فلابد من إيجاد السبل، فإذا عرفنا كيف نستغل الطاقة النووية التي نتوفر عليها تمكننا من خلق مساحة خضراء على عمق ثلاثين كيلومترا على شواطىء المغرب من طنجة الى الكويرة.

ولكن كيف يمكننا تحلية ماء البحر، ومن أين سنحصل على الأورانيوم؟ إننا سنحصل عليه من الفوسفاط الذي نتوفر عليه. وهل يعتبر هذا حلما؟ كلا. إن الرجل السياسي الذي لا يحلم من حين لآخر ليس برجل سياسة، إنني لست متشائما بل أنا رجل واقعي ومتفائل.

بالطبع هذا كله يتطلب أن تعملوا كلكم على أساس أنكم جميعا مغاربة، فلابد للجهاز التنفيذي أو الجهاز التشريعي أو الجهاز الاداري أن يعلم أنه إذا جاء الفقر فسنتحمله جميعا، وإذا جاء الغنى فسنتقاسمه جميعا ونحمد الله عليه.

لهذا فإني أنتظر منكم شخصيا الكثير والكثير في هذه الأيام أو في هذه الأسابيع التي سيكون فيها الحوار



حول الاقلاع الاقتصادي والتنمية الاجتماعية، فإذا أنتم اشتغلتم بجد ونزاهة، ولكن دون ضياع الوقت، وإذا كونت كل لجنة من اللجان مكتبا دائما يتابع المراسلات أو يتابع الحوار مع الوزارات والادارات المختصة فلي اليقين أنكم ستقرأون علي في سبتمبر المقبل — إن شاء الله — من القرارات والتوصيات ما يثلج الفؤاد وينير آفاق المستقبل.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يلهمكم ويسدد خطاكم وأن يعطينا جميعا على قدر رجائنا فيه، ورجاؤنا فيه سبحانه وتعالى عظيم، إنه سميع الدعاء.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الأربعاء 12 جمادى الثانية 1402 — 7 أبريل 1982